



في أعمال التشكيلي السوري محمود شيخاني؛

حضور طاغ للمرأة وتغليب الرؤيا على التقنيات

محمود يوسف ديوب*

■ عبر مسيرة فنية متنوعة الأساليب والتقنية، يتابع الفنان محمود شيخاني بحسّه الدؤوب عبر التقنية والشكل واللون، وقد بدأ يأخذ منحى وأسلوباً موحداً عنوانه وجوه نسائية وعبر تقنية لونية خاصة وإن بقي ضمن الألوان الزيتية مروراً بتجارب مهمة باستخدام تقنيات رقيقة، عرض بعضها في مناسبات تشكيلية عامة من خلال المعارض الجماعية، لكنه عاد يهوء إلى اللون والتعامل الحر مع اللوحة من خلال الفرشاة أو السكين، لنجد أعماله الجديدة أكثر حميمية وتحمل عاطفة أشد، وبما أنه يهتم بالوجود مع اقترابه من الانطباعية بمعالجته اللونية لكن يتوحد الأسلوب وتبرز ملامح فنيات حصص، وإن لم يسجل ذلك بشكل مباشر على قماش اللوحة، ولكنه لخص ذلك بأسلوبه ليعطي أعماله بشكل عام شخصية واحدة.

وسط المدينة وفي مبنى تجاري يخصص بالمكاتب الهندسية والمحامين والشركات، اختار مكان رسمه بعد أن ضاق به المكان في رسمه القديم... وقد التقيت به مصادفة بعد مفاجاة باختياره المكان، ولكن... بدخولك الصالة الرئيسية تتغير الصورة ويختفي ضجيج السوق وتدخل عالم محمود الواضح بهدوئه الخاص، تقترش الجدران مجموعات الأعمال الفنية عناوينها الأساسية وجوه المرأة بالإضافة لبعض الأعمال التي ظهرت ملامح الجسد فيها وإن باختزالية تختلف بها التفاصيل، وربما تعود فيها النسب والتشريح، يتسد اللون فيها مغيباً إلى حد ما الخطوط القاسية التي يعتمدها في إبراز الأشكال، ولكن يبقى عزفه على ترانيم اللون هو الأوضح لينسج من يشاهد اللوحة كل تفاصيل الوجود والجسد، هو ذلك له خصوصيته في المعالجة وفي تناوله المواضيع، ولا شك بأن سمات شخصيته الهادئة والتي تحمل بعض الغموض تتضح بشكل كبير لتكون السمة الأكبر لأعماله، وقد أرى معرضه الأخير يهذه السمة التي كانت العنوان الرئيسي الخفي، والذي لا يستشفه أي مشاهد بل ستحتاج إلى حساسية لاكتشافها، وربما هو السر الذي يميز العرض لديه، وليشدد عليه نحو اكتشاف هذا الغموض، وربما يكون موعضاً عن السيادة المتأهبة في معالجة المساحات اللونية لديه، هارياً بذلك من مطب الرتابة في اعتماد المساحات اللونية الترامية في اللوحة.

وإن يعتبر محمود من الفنانين المنزمنين مقارنة بالبعث الذي يكسر بعض الحواجز الاجتماعية لحساب اللوحة لكنه لا يعتبر ذلك على حساب حرية الفنانة فهو يطلق العنان لألوانه لتتعلق في فضاء اللوحة دون خجل، ولكن يبقى في مكنون ذاته ملتزماً بيقم معينة وهارياً من التفاصيل المثيرة خلف ضبابية تخفي بعض التفاصيل التي يرى من خلالها أي إشكال مع بعض المشاهدين الخاصين، ليكون معادلة توافقية خاصة بينه وبين المتلقي.

وإن كانت المرأة هي عناوين لوحاته الأساسية إلى جانب بعض الأعمال التصويرية عن الطبيعة فالتشيد اللوني له خصوصيته وإن كانت مواضعه عامة وهي هاجس أغلب الفنانين، لكنه يشد المشاهد إليه من خلال معالجته التقنية وطريقة اللون فيتلعب على عمومية الموضوع من خلال خصوصية المعالجة، بذلك يميز عمله ويعطيه صفة الأسلوب الخاص حتى لا يقع في مطب التشابه والذي أصبح أحد سمات التشكيل المعاصر. وإن كانت مدينة خصص من الفن الهادئة والتي تحمل خصوصية تصبغ فيها أغلب فنانيتها وهو من الفنانين الذي لم يخرج برسمه عن نطاقها كأمه فنانيتها الذين خرجوا إلى العاصمة برسمهم أو انطلقوا إلى العالم الأروبي ولكنه بقي في هذه المدينة الواودة التي مهما اشتد بها الصخب فلا تقارن بمبثلاثتها من المدن الأصغر والأكثر صخياً، ربما حمل بشخصيته سمات هذه المدينة وتلاقها معاً ليبيقي فيها يرسم بهدوء ويتنقل بين الرسم والبيت وصالة الشعب التي يتولى تسيير أمورها المالية، وبهدوء أيضاً عاكساً حتى طريقة تعامله الفني مع اللوحة إلى حياته العادية ويجعل منها عنوان تعاملاته.

يبقى محمود الابن البار للمدينة ويساعد الفنانين



من أعمال محمود شيخاني وفي الأسفل صورته



تعتبر نزعة نحو الكلاسيكية ليس بالأسلوب بل بالرؤيا وتعتبر نوعاً من المحافظة على الأصول الفنية، وهذا يبقى له تأثيرات المكان وهو نوع من خصوصية المدينة التي تؤثر بناً وفكرياً على الفنان. ونحن نرى في بعض الأحيان تبقى ضمن إشكاليات التصان.

وإن كان محمود بالنسب عندما يرسم الأشخاص ونجد نسبة الرأس تختلف تشريحياً مقارنة بالجسد وبذلك يتابع أحياناً بهذه الطريقة ليصل إلى مستوى معين لا يسترسل به مع اللوحات الأخرى، وربما يوصل بذلك احتجازه الصامت، وغالباً هو نوع من التعبيرية يعيقها إلى سمات عمله.

أما عن المعالجة التقنية فيبقى معالجته الزيتية هي الأهم فلم يخرق بالتقنيات المختلفة سواء بالإكريليك أو المزواوجة بأصامات مختلفة كما يجرب الكثيرون، وربما يعكس ذلك صفات شخصية في عدم الغرق بالتقنية على حساب الرؤيا، فيبتم باللون وأساسيات العمل الفني تاركاً وراءه هم البحث التقني ويشاركه بذلك بعض فنانيه حصص، وربما تعتبر من سماتهم بالإضافة لذلك

غرق في ماتهات فكرية تأخذ عبر جدليات تضعف من القيمة الفنية، ولا زخم لونيًا يشتت البصر ويضيف ألباءً على عين المشاهد مفضلاً بذلك حياً بصرياً مريحاً للمشاهد، فيبقى عبر أمان يكفيه شر الانتقاد من فئات لا تحب ذلك الصخب.

يباغ محمود بالنسب عندما يرسم الأشخاص ونجد نسبة الرأس تختلف تشريحياً مقارنة بالجسد وبذلك يتابع أحياناً بهذه الطريقة ليصل إلى مستوى معين لا يسترسل به مع اللوحات الأخرى، وربما يوصل بذلك احتجازه الصامت، وغالباً هو نوع من التعبيرية يعيقها إلى سمات عمله.

أما عن المعالجة التقنية فيبقى معالجته الزيتية هي الأهم فلم يخرق بالتقنيات المختلفة سواء بالإكريليك أو المزواوجة بأصامات مختلفة كما يجرب الكثيرون، وربما يعكس ذلك صفات شخصية في عدم الغرق بالتقنية على حساب الرؤيا، فيبتم باللون وأساسيات العمل الفني تاركاً وراءه هم البحث التقني ويشاركه بذلك بعض فنانيه حصص، وربما تعتبر من سماتهم بالإضافة لذلك

ويراقبهم بصمته وإبتساماته وهم يأتون ويغادرون مدينتهم إلى دنيا اغترابهم ولا يتوانى في تقديم أي مساعدة أو أي معلومات لأي باحث ودون أي تحفظ ليكون مفهوماً موحداً جامعاً بين علاقة الفنان باللوحة من جهة وعلاقته بالناس والأصدقاء من جهة أخرى، ليجعل حول لوحاته هالة إنسانية خاصة ينقلها من خلال تعاملاته بالحياة إلى مساحات القماش أو الورق ويكون اللون وسيطاً مهماً بذلك.

وبمعرضه الأخير برزت سمات رئيسيتان في أعماله المعروضة تنازعتا ما بين تفحات رومانسية من خلال المواضيع وفكرة العمل بالإضافة للمعالجة اللونية، وما بين وحشية في تفاصيل الوجود لتحمل اللوحة في بعض الأحيان عبء تناقض مريب إلى جانب ذلك الهدوء الذي يلف المساحات والخلفية من خلال اختزال لوني بسيط الفكرة ويخرج اللوحة من مطب الفقر الشكلي إلى نوع من الراحة البصرية من خلال النزعة الواضحة ونقاء السيادة، وبذلك يعزف محمود على وتر الرمزية وإيقاع اللوحة ضمن المجرى الشكلي ليبقى عبر أمان الفكرة، فلا يغيب عن أي غراشي وعجائبي في الأعمال السردية التي تتوسل الأساطير المفارقة. وهذا يعني أن التدبير من دون يد، أي أننا نضع الأسئلة لننبه ونستجدي، وبعد ذلك نضيع في دروب وعلب الواقع الفاسدة. وغير خاف هنا، أن الخطب واللوبيات الإنشائية تنتشر أمام طاحونة المؤسسة التي تؤسس لنفسها فقط ويكامل السلط العتيقة أو الحديثة اللبوس بكامل الغموض.

حقاً أن الحرب الدائرة في نقط عديدة من العالم، تحرك السواكن وطيات تاريخ الأمة العربية؛ تاريخ الأفتنة وطمس الإشكالات الحقيقية لذات العربية بين الأنا والأخر. وبفصيح العبارة هو تاريخ غدر وطعن من الخلف ولعب على الحبال وضحك على الذقون التي ترتع في بؤسها وحرمانها اليومي.. وعليه، يغلب ظني أن سؤال الحرب يثير فينا سؤال الواقع العربي ككل: متى كان الإبداع العربي الحديث مستوعباً لهذا الواقع، ممتلكاً لروحه، وراصداً له... وهو ما يفرض على النقاد والمبدعين إعادة طرح السؤال القديم-الجديد: الإبداع والواقع، بين العلاقة والوظيفة. على أي، قد تتعدد الإجابات والقناعات بين كيف ولماذا. ولكن- في تقديري- لا ينبغي التحصن في الإبداع كجزيرة مفارقة تماماً أو القفز عالياً

تداعيات

غياب بحجم الحياة

فيصل عبد الله*

(الى كامل)

«في ناس
قالوا قتل
في ناس
قالوا مات
في ناس
قالوا فتح عمرة خياله
وفات»
«طلال حيدر»

— لأسباب يطول شرحها، ومن قمة الغموض التي تملأ الرأس، ما إنذا أكتب إليك، فقد كنت مستغداً طيلة الأسابيع الماضية بأنثغالات لا أعلم كيف تراكمت عليّ، وحضرت على عتبة بابي مع كل يوم جديد، ما جعلني مثل الأسم على غير عادي، فالزجاج مضطرب، وبريدك الالكتروني مغلق وهاتفك النقال هو الآخر، أقول، ومع ذلك، فهذا أنا أجرب الكتابة عليها تثير حمية التواصل، رغم أن الانتظار، أحياناً، لا يلغي المتظرين، ولكي أطمئنتك أولاً، فإن أخبارك، حلوها ومرها، نتהל عليّ تترى، عدا صمت حذر لدف دولة حروب الردة. لا أعلم كيف تحول التواصل شبه اليومي بيننا، هكذا بضربة مارد واحدة، إلى نوع من الجفاء المر. ربما الحالة الحاضرة في مقبرة الأحياء، أو التزاماتك الالتهامية وتفتاتك من أجل الوطن حد الانفعال، حولتني إلى مجرد منتظر عند حافات الكلمات، ورحلت أرجي الوقت بكتابة استغاثة أو نداء أو مطالبة، وأحياناً يقطع شعري أو نظري كاتيب ما.

— أفصح ما قرأته أو سمعته عنك قبل أيام، أنك «أشجع منا جميعاً»، ما إن تمتعت بكلمة، وشجاعة، حتى سرت في كيانتي رجفة باردة، برودة الموت، وأحالتني بوغي أو سواءه إلى البحث عن قيمتها في حاضر يتناهيه السماسرة واللصوص والقلة والمجاورون وزعماء العصابات وأمراء الحروب. رحلت أسامه، هل هي «شجاعة» تأخذ صيغة عشية لغامرة دونيكيسوتية تلهب الخيال بصارعة طواحين الهواء؟ أم هي، مياطرة عذمية وذاتية دفع الشاعر الروسي بوشكين دمه من أجل كرامته الخدوشة؟ هل القابع فينا استكان للمكان، وتحولنا إلى كائنات تضعف الكلام المكرر وتتفاقم اليأس، فاستعونا كلمة «شجاعة» كي نخلعها على من انتفض على شرط يومه وقبل التحدي إلى نهاية الشوط؟ «تعا للبلد الذي يحتاج إلى أبطال»، كنت أردت كلمات بريخت التي وضعها على لسان بطله غاليليو. لا أعرف، ولكن لا أظن أن أحداً من تينك يليق بك.

— الأكيده، وأنا في حيرة فك شيفرة تلك الكلمة، رحلت استعيد زمن العراق، المنظور منه، بتقلباته السياسية وانعطافاته الحادة وانكسار أحلام أجيال من أبنائه وقدره المعلق على نصل الهادية. والسري بيننا نحن الاثنين، عندما جسنا دروب الحياة سووية، وفي رحلة لم تكن سهلة تشاركنا فيها فراش البيت والطعام والمدارس وغياب الأب ميكراً وصبر الأم، يالها من رحلة فريدة. كان الزمن ما مر بيننا، وكان لغة البوح مضموا الكتمان. وزاد من لهفي وحيرتي لإيجاد الجواب ما جاء به قاموس المنجد، كون الشجاعة تعني، الجراءة والإقدام وشدة القلب عند اليأس. ولكن صدى مفردات الصحراء وغيابها الميثوث في تلك الكلمات لم يسعفني، ربما لأنك كنت صنوه الرمزي الجسد في ابن المدينة والمدنية. لذارحت أستعين بما في خزائني من ذكريات وتلك المحفوظة في الأذراج.

— أي شحجي، أي أنين، ذلك الذي يولده النظر في الكم الهائل لصورك ورسائلك الشخصية. هل سأكذب كذبة بوضاه؟ ماذا سأقول للوالدة وكيف ستأبدي أمري معها، وأنا الذي حملتك، حسب كلمات الشريف الرضي، حمل العين لج بها القذى فلا تتجلى يوماً ولا تبلغ العيني؟ هل سأخبرها بأن أيتها «شجاعة» ترك لقره يقارع وحوش الغابة؟ هل لي بفضح السر؟ بالأمس القريب، كنت أقول، كم يحتاج العراق إلى شخص يحمل بعضاً من سجايابك وخصالك؟ عملة تارة في زمن ملتبس، معاني في زمن الكوليرا. زاهد في الحياة ورسيد حب الناس. صاحب مقام وغير مترفع، إنسان ومفكر وكاتب ومحاو من الطراز الرفيع وشخصية وطنية دون تصنع أو ادعاء. مشروعي الشخصي وهناتي، كما أحسبه لكل من عرفك.

— هل تذكر رسالتك الأثرية التي بعثت لي بها من باريس في صيف العام 1981، وشبك القوانين والأنظمة الأوروبية إجابتك هكذا إلى مجرد اسم خارج إحدائيات الزمان والكان؟ ومع ذلك، كنت معتاداً كهمهك، كان صدى كلماتك بحضرتي الآن؛ «لا تعجب... ولا تسألني...» إنني يوماً أردت دم نفسي قصيدة تملأني أملاً؛ «عندما تنطلق إلى «إيثاكا»»

— أذعر إن يكون طريقك طويلاً، مليئاً بالاشكالات، طاملاً

— لا تخف من:

— الآلهة القاسية

— الوحشية

— فأنك لن تجدها في طريقك، طاملاً

— كانت أفكارك محفلة، طاملاً

— كانت فروحك الفريدة تهرز ورك وجسدك

— أنك لن تقابل الآلهة القاسية الوحشية

— ما لم تجلبها معك بداخلك

— ما لم ترفعها ورك أمام ناظرِك»

— كنت تقول، وربما نقلت السعادة الوحية فينا بأيدينا حين تراجع أمام الخوف، أو الحزن العالق في أرواحنا... ربما تكون أمني أكثر سعادة مني، أو هي كذلك، لأنها تنتظر نينيتها اللذين سيأتيان إليها يوماً... الجزائر ما عات لي ملاذاً، اني كرهت العودة إلى تلك الدائرة المثلثة التي أحكمتها على نفسي عامين، ومارست فيها سبابتاً لا بد له ان ينتهي يوماً، لا بد ان يقضي الي بقلة قد تكون تمرداً هادئاً قادي مرة إلى... والأخرى إلى... ومرة سيفوقني حيث لا أعلم ولا أحب.

— وما دامت الكتابة تثير التواصل، رحلت أتأمل، من وقتها رحلتك مع «إيثاكا»، إيطاليا وتنقلاتك بين مدينتها، بيروجيا ودروس للغة التي أحبت، وفلورنسا والاستقرار في ميلانو، تلك المدينة الشمالية التي دعته بقاموس إيطالي— إنكليزي—عربي، واخترت له غلافاً أنيقاً من أعمال الهولندي موندريان، هل كان اختيارك لذلك العمل بمحض المصادفة، أم كان مدخلك، عندما حانت اللحظة، للمضي في مشروع دراستك في مدينة تلحق بلغة ذلك الفنان؟ أذكر أن تلك النقطة قد وضعت أمام خيارات حياتية ليس من السهل تجاوزها، ومع ذلك فقد متحكك تلك الرحلة أفضل ما يمكن أن تقدمها لمسافر ليس ككل المسافرين. كانت الأفكار محفلة كجاء زادها كإفافي في قصيدته إياها، فقد أدخلتك في موانئ تراهها لأول مرة (ملياً بالعراق، ملياً بالفرج)، «التباعد الأشياء الرائعة،

— المسات، والمرجان، والعنبر والعاج

— والعطور الشهوانية من كل الأنواع

— أبتع ما استطعت من العطور الشهوانية؛

— ولتزر مدناً مصروية كثيرة

— لتعلم نفسك معرفة من الحكماء».

— وقتها كنت أنتظر رسالتك وأنا في تيه الصحراء الأفريقية الكبرى. كانت تلك الرسائل تشاغلني وتبث الحماس في حيث أقاسم الزم مع وجبات الطعام وفي قرية لا تعرف الظل. فواصل فرح أنتظرها بفارغ الصبر كمشاق ابتلي بحب لا شفاء منه. آنذاك حمل بريدي يوماً واحدة منها قبيل أن يطوي العام 1983 فصله الأخير وفيها «دعوة» نيلتها بكلمات ليست كثيرها..... «لأني» هكذا قلت، «بهاجس مفرح، أتمنى ان لا نتكاتب في العام القادم كثيراً... ربما كي تقاطع أو نقطع لسان المنفي فينا، قد تقرب من الوطن أكثر؟» أمل أن لا يسرقنا هذا المنفي أحلى أشيائنا....

— لكن تلك الأمنية النبيلة تطلبت عقدين من الزمن، والانتظارات المفضة لتحقيق، ولكن على يد ليست عراقية خاصة. مشرون عاماً، أو أزيد، لم يهدك إلى بال، إلا وكان العراق ديدك وبغداد مؤشر بوصولك. كتم من المواد والقصائد كتب؛ وكتم من مرة ناقشت لثة المنفي؟ كم من الرسائل تبادلنا ونحن نسترجع رموز ومعاني رؤية غائب طمعة فرمان «المرحى والمؤلج»؛ كم من المرات اختلفنا وكان العراق السبب؛ كم استنفدت من أساليب وتوسلات وسحخت عواطف لثنيك وأنت تحزم حقيبتك الصغيرة مرة تلو الأخرى؟

— يقول أحد محبيك «عراقاً كيف وجعلت قلبنا»، وهو محق في رايه. ولكن، ألم يكن الجواهري هو الآخر محققاً في قصيدته «بان جراح الضحايا قم...».. وأنك أشرف من خيرهم/ وكبكم من خدكم(م) أكرم».

— أربعون يوماً مرت وحولها ونحن ندور في فك وحيرة كمن ضل طريقه، رغم ذلك فقد كنت حاضراً معي تقاسمني يقظتي ونماي.

— سؤال أخير، هل تأذن لي بترجمة أطروحتك؟ وهل ستسمح لوحيكد إلياس نشر ما لم تنشره؟

— صمكت لإطاق.

— وغيابك بحجم الحياة.

* صحفي وكاتب من العراق يقم في لندن

أول إصدار سينمائي في تاريخ الجامعة المغربية

« 12 فيلماً 12 موهبة من الشمال »

محمد العناز

■ صدر مؤخراً عن «مجموعة البحث والإبداع السينمائي والسعي البصري» بجامعة عبد الملك السعدي، الإصدار السينمائي الجماعي الأول « 12 فيلماً 12 موهبة من الشمال»، الذي يضم مجموعة من الأفلام السينمائية القصيرة لمجموعة من المخرجين الشباب: «كتاب»، و«Mi-rage» ليهام بن عبد الوهاب و«أحلام صامتة لعمر سعدون، و«Zapping» لنادي أخوين لوميير، و«Refrain» لسامح العيدوني، و«لقاء» لبلال الشريف الطريقي، و«زوج غير شرعي» للتهامي بورخيص، و«L'solement» لعلي بودرعة، و«Elarmes de l'art» لموسي هاجر ومحمد مسعودي وأشرف فراق وخديجة المصري، و«Halqua» للرفيق و«فانماتك الزهراء الهبطي، و«Missing Park» لروسان أراوي، وأخيراً فيلم « على ورقة بيضاء» لسارة العيدوني. وهذا وقد صرح الدكتور حميد العيدوني رئيس مجموعة البحث والإبداع السينمائي والسعي البصري بخصوص هذا الإصدار، « أن « 12 فيلماً 12 موهبة من الشمال» تهدف إلى التعريف بإبداعات الشباب في مجال السينما وفن الفيديو، خاصة وأن المنطقه— شمال المغرب— تزخر بالعديد من المواهب تتفقر في كثير من الأحيان إلى إطار لعرض هذه الأفلام، أما الهدف الثاني فهو يأتي تويجاً لعمل مجموعة البحث التي اشتغلت منذ 1987 على نشر

الثقافة السينمائية الجادة والهامة، كما أن الشريط يعد أول إصدار في تاريخ الجامعة المغربية، وهذا يؤكد الدينامية الموجودة في شمال المغرب وحركة البحث العلمي الموجودة في جامعة عبد الملك السعدي وريادتها على مستوى الإبداع السينمائي».

وتجدر الإشارة إلى أن مجموعة البحث تولى مهمة خاصة لحال التكوين، فإلى جانب العروض السينمائية التي تنظم كل أسبوع والتي تهدف بالأساس إلى تعريف الشباب بروائع السينما العالمية، والهدف منها تروبي أساساً بحيث أن الشباب الذي يعيش الثورة الرقمية في المجال السينمائي يجهل في كثير من الأحيان تاريخ وظروف ولادة السينما، بموازة مع هذا الجانب الفرجوي/ التروبي— السينمائي، تعمل مجموعة البحث على تكوين الطلبة المولودين، وقد حققت هذه الورشات نجاحاً باهراً بفضل تعاون المخرجين والبدمين المغاربة على سبيل المثال؛ الجليلي فرحاني، ومومن السعدي، والشريف الطريقي.... وفي إطار دينامية بين الفرجوي والتكويني عملت المجموعة على تمكين الطلبة من إخراج مجموعة من الأفلام القصيرة، وقد تم ترويج هذا الشئق ضمن عمل المجموعة من خلال الإصدار الذي يضم أهم إبداعات شباب جامعة عبد الملك السعدي ومناطق الشمال عموماً.